فـ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ إرادة خالصة صادقة فعليه أن يسعى لها سعيها وهو مؤمن، حيث الإرادة دون سعي، أو سعي لا يناسبها، إنها ليست إرادة، فإنما هو تمنٍّ دون أسباب صالحة تحققه، فالإرادة الصادقة تحمل من يحملها على أداء تكاليفها والنهوض بتبعاتها وإقامة سعيها كما تطلبها، دون أن تحرمه من لذائذ الدنيا اللهم إلا من هزاهزها، فإنما تمده إرادته الصادقة للآخرة إلى آفاق أعلى وأغوار من يم الكون تتم وتطم في استخلاصه عن هزاهز الدنيا وكما عن الرسول ﷺ: «جزناها وهي خامدة»!. «ومن أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدنيا»[١].

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾:

﴿نُّمِدُّ﴾ من الإمداد وأغلبه في المحبوب: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢] والمدّ في المكروه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[٤] فقد تكون ﴿نُّمِدُّ﴾ هنا جمعاً بينهما بتغليب الإمداد، أو إنه الإمداد فقط مع اختلاف المحبوب، فحب الدنيا ظرف للمد واقعياً وللإمداد كما يريدها أهلوها، وحب الآخرة ظرف للإمداد واقعياً وكما يريدها أهلوها.

﴿كُلًّا﴾ ممن مريد العاجلة والآجلة ﴿نُّمِدُّ﴾: نعينه ونزيد له كما يريد ويعمل لعاجلة أم آجلة زيادة على ما يعمل ويأمل سواء ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المريدين للعاجلة أم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المريدين المؤمنين الساعين للآجلة، وهذا الإمداد ليس استحقاقاً مطلوباً لأهله، وإنما ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ فنعمة الدنيا هي عطيته كما نعمات الآخرة هي عطيته وأين عطية من عطية!

(١) نور الثقلين ٣: ١٤٦ ح ١١٥.
(٢) سورة الطور، الآية: ٢٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٢.

ولماذا يمد أهل العاجلة؟ لأنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١] ومريد العاجلة يؤتاها وافية كما يسعاها، وليس الله بمانع يحظر أهل الشر تكويناً عما يريدونه من الشر، كما لا يخطر - وبأحرى - أهل الخير فهذه سنته الدائبة: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾! عطاء هي محبورة غير محظورة أياً كان، ولكنها الجزاء هي في العصيان عدل جزاء الوفاق، إذاً فالعذاب محدود بحدود العصيان، وهي في الطاعة لا مقطوعة ولا ممنوعة عطاءً غير مجذوذ، إذاً فالثواب غير محدود قدراً وزمناً ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

ليس أن الله يمنع أهل الآخرة من عطاء الدنيا أن يخصها أهل الدنيا، وإنما يعطي هؤلاء وهؤلاء وإن اختلفا في ابتغائها لعاجلة فإلى نار، أم لآجلة فإلى جنة، ولكنه لا يعطي أهل الآخرة في الأكثر كثيراً من نعم الدنيا كيلا ينغمسوا فيها غافلين.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾:

فضلّنا مريدي الآخرة على مريدي الدنيا، دون فوضى، وإنما كلّاً حسب ما أراد وسعى، فطالب الفضيلة فضلناه على طالب الرذيلة، ومهما كانت للدنيا درجات الشهوات والحيوانات فـ ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ بل ليست درجات الدنيا بجنب الأخرى إلا دركات تخلف في الأخرى دركات: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[٢].

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٢) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٦.

مشكلة الخلود[١]:

إن الخلود أو الأبدي منه لمن يصلى النار الكبرى قد يفسر بالبقاء اللانهائي الحقيقي في النار، فترد عليه مشاكل عقلية ومن حيث العدالة الإلهية، وإنه يسبق رحمته غضبه أم ماذا.

فالمشكلة العقلية هي أن ما له بداية لا بد له من نهاية، والخلود أياً كان هو امتداد تركيبي من أجزاء الزمان، وكما الأجزاء هذه محدودة فالخلود المركب من المحدود لا محالة محدود، ثم وإذا لم تكن لهذا الخلود نهاية فتلكن الزيادة أو النقصان من بدايته لا تزيد ولا تنقص من الخلود لأنه لا محدود، واللامحدود لا يقبل لا زيادة ولا نقصان، فلا خلود - إذاً - لا نهائياً، لا في الجنة ولا في النار! والجواب الحاسم لهذه المشكلة هو أن الذي لا يقبل زيادة ولا نقصاناً هو اللامحدود المطلق وليس إلا الله تعالى شأنه، فلا أول له ولا آخر حتى يحد بأول أو آخر، ولا يقبل كيانه لا زيادة الزمان ولا نقيصته لأنه خارج عن محور الزمان.

واللامحدودية المطلقة هي لزام الأزلية التي لزامها الأبدية حيث الأزلية ليست إلا ذاتية إذاً فهي تلازم الأبدية الذاتية، وأما الأبدية فهي بين ذاتية هي استمرار ذاتي للأزلية وغيرية هي استمرار بإرادة الأزلي.

هنا محدودية مطلقة كالاعمار في الدنيا والبرزخ فإن لها بداية ونهاية، وهنالك لا محدودية مطلقة كما هو لله تعالى شأنه لا سواه وبينهما لا محدودية نهائية في حد بدائي، أم بدائية في حد نهائي. في امتداد فعلي حاصل، أو امتداد شأني تحصل أجزاؤه تلو بعض.

والمستحيل من هذه الأربع ثلاث: هي اللامحدودية في الامتداد الفعلي

(١) لقد فصلنا البحث عن الخلود في هذا التفسير ج ٣٠ وفي «عقائدنا» ص ٣٠٦ - ٣٢٢.

الحاصل بداية أو نهاية للمشكلة الماضية، وكذلك في الامتداد الشأني بداية، دون الشأني نهاية، والخلود اللانهائي في الجنة أو النار شأني يتدرج دون نهاية، فهو محدود بداية ولا محدود نهاية، فالبداية بفعل الله، واللانهاية أيضاً بفعل الله، وليس هنا ما يمنع عقلياً هذه اللانهاية لا فاعلاً ولا قابلاً، فالله تعالى هو المعطي عطاءه غير مجذوذ ولا راد لفضله، ولا نهاية لعطائه، والأزمنة الآتية إلى غير النهاية هي كالسالفة كلها بإرادة الله، ولا مانع في هذا البين من هذه العطاء غير المجذوذ لا فاعلاً ولا قابلاً.

إنه لا مشكلة عقلياً في مثل هذه اللانهاية ولكنها مستحيلة في العذاب بميزان العدل والنقل القرآني ومن ثم بمقتضى الرحمة الإلهية.

إن الجزاء الوفاق لا توافق اللانهاية في العذاب لعصيان محدود في زمن محدود من عاص محدود وفي أثر محدود، ولبث الأحقاب حيث اعتبر الجزاء الوفاق للطاغين برهان لا مرد له على حد العذاب، وكما الآيات في أن الجزاء هي العمل[١] أو بالعمل[٢] تحدّد العذاب بقدر العمل، لا أكثر من العمل وإن كانت آيات الثواب تربي الجزاء على العمل تتخطاه إلى نية الخير أيضاً.

وقد تزعم دلالة الآيات التالية على اللانهاية الحقيقية في العذاب:

١ - ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٣]؟ ولكنها لا تنفي موت الخالدين إلا في النار وهنالك موت مع النار أو بعد النار لا ينفيان. والآية تدل على المساواة بين حياة النار والآبدين في النار! فكما أنها تلائم الأبدية اللانهاية كذلك تلائم المحدودة أن تفنى النار بمن في النار مع النار، لا سابقاً عليها حتى تنافي ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾.

(١) ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطُّور: ١٦].
(٢) ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].
(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٣.

٢ - وكذلك ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[١] فـ ﴿لَا يُقْضَىٰ﴾ إنما تنفي الموت في النار ألا يعذبوا بأن يموتوا مع بقاء النار! ﴿وَلَا يُخَفَّفُ﴾ تنفي تخفيف العذاب ما داموا ودامت النار، ولا تنفي موتهم مع خمود النار.

٣ - كذلك ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[٢] أي: محيداً ومفراً، ولا فرار عن النار إلا مع بقائها، وأما أن يموت أهل النار مع خمود النار فليس محيصاً عن النار، وإنما هو مع بقائهم وبقاء النار ونجاتهم حينذاك عن النار.

٤ - كذلك ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣] والخروج عن النار حيث يعني بقاؤه خارج النار مع بقاء النار، إنه غير الموت مع خمود النار.

٥ - كذلك ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ . . . وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[٤] حيث الإبلاس هو الحزن المعترض من شدة البأس إذ لا يفتر عنهم العذاب والمكث هو المقام قدر الاستحقاق، وتفتر العذاب منفي ما دام العذاب دون دلالة على الاستمرارية اللانهائية للعذاب.

٦ - وكذلك: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٥] إذ لا ينافيه موتهم في النار مع خمود النار، فلا هم خارجون إذاً عن النار ولا أحياء بعد خمود النار.

ثم هنالك احتمالان: ١ - فناء من في النار مع النار فلا نار إذاً ولا أهل نار. ٢ - فناء النار وبقاء من فيها دون رحمة ولا عذاب وإن في فترة

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢١.
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الزخرف، الآيات: ٧٤-٧٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

قصيرة، وإذ تصرح آيات أنه لا يفتر عنهم العذاب فبأحرى لا ينفى عنهم سواء مع بقاء النار أم فنائها، فلا نحتمل إذاً إلا فناء النار بمن فيها على سواء، يثبته لزوم انتهاء العذاب وعدم خروجهم عن النار إلّا عذابها عنهم.

٧ - وكذلك: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١] فـ ﴿كُلَّمَا﴾، لا تدل على استمرارية العذاب اللانهائية، وإنما التبديل هو ما دام النضج، وأما حتى متى يدوم النضج فلا دلالة فيها على أمده من أبدية حقيقية أما هيه.

٨ - وكذلك: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾[٢] فإنها ما تبقى ويبقى فيها من يصلى - طبعاً - لا تبقي من يصلاها حياً مرتاحاً حيث تظلم عليه حياته ولا تذره، فلا يموت فيها ولا يحيى.

٩ - وكذلك ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] حيث الأيام المعدودة المكذوبة هنا ليست هي مطلق المحدودة، وإنما القليلة التي يعدونها شهراً أو سنة أم ماذا، فليست أيام عذابهم معدودة كما يزعمون وإنما هم مع أحزابهم فيها خالدون: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤] ثم وعدم مسيس النار إلا أياماً معدودة يوحي ببقاء النار - في زعمهم - وهي لا تمسهم بعد أيام معدودة بأن يخرجوا عنها، أو لا يعذبوا بعد وإن ظلوا هم فيها.

١٠ - وكذلك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ . . .﴾[٥] حيث

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٢) سورة المدثر، الآيتان: ٢٨، ٢٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨١.
(٥) سورة هود، الآية: ١٦.

الحصر ليس حقيقياً ينفي عنهم كل شيء حتى الموت، إنه نسبي بين الجنة والنار فليس لهم في الآخرة إلا النار، فلا ينافيه فناءهم بفناء النار.

١١ - وكذلك ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[١] فإن خباء النار ليس خمودها وإنما هي سكون لهبها بغطاء الرماد وغشائه، وأما أنها لا تخمد مع موت من فيها فلا إشارة لها.

١٢ - وكذلك ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٢] يعني لزاماً ولا يعني غرام العذاب إلا عدم انفكاكه عن أهل النار، دون دلالة على الأبدية اللانهائية. وإنما عدم انفكاكه عنهم وهم أحياء فيها أم خارجون عنها.

هذه تمام الآيات التي قد يظن دلالتها على الأبدية اللانهائية في النار ولا دلالة فيها ولا إشارة، ثم أدلة العقل والعدل والآيات في تسوية العقاب والعصيان وآية الأحقاب أم ماذا؟ كل ذلك تحدد أمد العذاب وتفسر أبد العذاب، ثم ولا يصغى إلى أحاديث مختلقة هنا تخالف هذه البراهين[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٥.

(٣) البحار ٨: ٣٤٦ في الصادقي أنه بلغنا أنه يأتي على جهنم حين يصطفق أبوابها فقال: لا والله أنه الخلود، قلت: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١٠٧]، فقال: هذه في الذين يخرجون من النار.
وفي العلل (١٧٧) عنه عليه السلام سئل عن الخلود في الجنة والنار فقال: إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ما بقوا فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قال على نيته.
وروى فضالة عن عمر بن أبان قال سمعت عبداً صالحاً يقول في الجهنميين إنهم يدخلون النار بذنوبهم ويخرجون بعفو الله.
وفي التوحيد للصدوق عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عنه يا محمد! إن كان ربك لا يظلم فكيف يخلد في النار أبد الآبدين من لم يعصه إلا أياماً معدودة؟ قال: يخلده على نيته فمن علم أن نيته أنه لو بقي في الدنيا إلى انقضائها كان يعصي الله عز وجل خلده في ناره على نيته ونيته في ذلك شر من عمله إلى أن قال: والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٨٤]=

ولو أن الخلود يعني البقاء دون زوال، فلأن آيات الخلود إنما تدل على الخلود في النار لا خلود النار، فلا دلالة فيها إلا على الخلود فيها ما دامت موجودة فلا تنافي فناءهم بفناء النار!.

وقد يقال إن العصيان من حيث المعصي اللامحدود في العظمة والكمال لا حدَّ له فجزاؤه الوفاق أيضاً لا حد له! ولكنما العصيان له وجهات ثلاث: من حيث العاصي، ظرفاً ومحتداً عائقاً ودافعاً أم ماذا ومن حيث نفسه أثراً سيئاً، ومن حيث المعصي، والمقياس في العقوبة إنما هو موقف العاصي

= (التوحيد باب الأطفال ص ٣٩١).

أقول: إن النية التي تتبع العقيدة أو العمل فالجزاء باعتبارهما لا النية وأما النية الخالية عن العمل ففي خيرها ثواب وليس في شرها عقاب.

هنا نية وعقيدة وعمل، والعمل مرتبط بالعقيدة والنية، وأما النية بلا عمل فلا عقاب عليها وإن كان فيها ثواب ولا نجد في القرآن سبباً للثواب أو العقاب إلا الإيمان والعمل الصالح والكفر والعمل غير الصالح، ومجال النية إنما هو العمل لا غير.

وفي ج ٢ علم اليقين للفيض الكاشاني ص ١٠٨٢ عن البخاري تفسير سورة مريم ج ٦ ص ١١٨ والمسند ج ٣ ص ٩ عن النبي ﷺ أنه قال: يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فينادي فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون الموت فينظرونه فيعرفونه فيقال لأهل النار: تعرفون الموت فينظرونه ويعرفونه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فذلك قوله عزوجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]، وعن الباقر عليه السلام ما يقرب منه (البحار ج ٨ باب ذكر الموت).

قال الفيض: لا خلاف بين أهل العلم أن الكفار مخلدون في النار إلى ما لا نهاية له كما هو ظاهر الكتاب والسنة.

وفيه ما رواه العامة عن النبي ﷺ أنه قال: سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير وفي المحاسن (٥١٨) نظر رسول الله ﷺ إلى الجرجير فقال: كأني أنظر إلى بيته في النار.

وفي التوحيد (٤٠٦) عن الصادق عليه السلام من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار.

وعن النبي ﷺ أن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة بها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض والطير وأخر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة (ابن ماجة كتاب الزهد الباب ٣٥ ج ٢ ص ١٤٣٥).

بأثر عصيانه، فإنه قضية العدل أن يُعدل العصيان بالعاصي المتناهي لا المعصي غير المتناهي، فإن رعاية الضعيف فيما له مقاييس أولى من رعاية القوي، على أن درجة المعصي ليست باختيار العاصي ولا أنه يلاحظ ويواجه هذه الدرجة لكي تزيد في عقابه. ثم لو كان المقياس هو المعصي لأصحبت جميع المعاصي كبيرة دون أية صغيرة، ولبطلت الحدود والديات والتعزيرات المقررة لحدود الجنايات ومواقف الجنات، ولأصبح كافة العصاة مخلدين في النار أبداً على سواء.

ثم إذا شككنا في المقياس فلا لنا أن نأخذ بالأشد عقوبة والقرآن يحدد العقوبات على قدر السئات: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[١] مماثلة بين نفس السيئة وجزائها، لا بين المعصي فيها وجزائها، وهذه المماثلة مستحيلة فإن الله تعالى سرمدي وسرمدية العذاب مستحيلة وإن أمكنت أبديتها اللانهائية.

كلّا! وإنما مماثلة بين السيئة والعقوبة: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[٢] وما أظلمه من يقيس عصيانه بنفسه وهو أعلى دون العاصي وهو أدنى!

ثم الآيات في أن الجزاء هو العمل أو بما يعمل يحدد موقف العقوبة أنها على حد العمل لا المعصي: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٣] ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٤] ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾[٥] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٦] ومماثل المحدود

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٣) سورة الطور، الآية: ١٦.
(٤) سورة النمل، الآية: ٩٠.
(٥) سورة يونس، الآية: ٥٢.
(٦) سورة يس، الآية: ٥٤.

عاملاً وأثراً ليس إلا محدوداً، وإلا فلا مماثلة إذا كان المعصي هو المقياس! بل وجزاء سيئة بعضها أو نصفها! ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[١] والاستثناء بالمشية هنا ليس كما في آية البرزخ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ . . . خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾[٢] حتى يقال إن خلودها بذاته منقطع! وعلّ هذه المشية هي مشية الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء حيث تشمل المخلدين في النار تخفيفاً عن عذابهم أجمع والآيات النافية للتخفيف إنما تنفيه بعد هذا التخفيف!.

فناء النار بمن في النار:

ومما يؤيد فناء النار أنها من موجبات غضب الله وقد «سبقت رحمته غضبه» «ولذلك»: الرحمة «خلقهم» لا للعذاب، فالرحمة هي المقصودة في الأصل، والعذاب ليس إلّا تطبيقاً للعدل، فلولا أن ترك العذاب للعاصين ترك للعدل بين العباد لما كان العذاب صواباً، إذاً فالرحمة لا محدودة والعذاب محدود.

ثم من الرحمة ما هي مكتوبة وما هي راجحة غير مكتوبة: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٣] فلتشمل أهل النار فضلاً منه حيث وسعت رحمته كل شيء حتى ولو كانت اللانهاية في العذاب حقاً عليهم عدلاً، كيف لا وهي ظلم!

وقد يكفي فرقاً بين فريقي المسلمين والمجرمين قليلٌ من العذاب ثم

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة هود، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.